

البعد الديني في السياسة الخارجية الأمريكية

د.خليدة كعسيس - خلاصي

أستاذة العلوم السياسية بجامعة بومرداس - الجزائر -

لأننا إزاء ظاهرة من أضخم ظواهر العصر وأكثرها تعقيدا وهي الولايات المتحدة الأمريكية، أكبر قوة سياسية واقتصادية وعسكرية وأكثر الثقافات انتشارا في العالم، فلا بد من التأكيد على تداخل وتشابك العوامل المختلفة المؤثرة والتي تشكل مفاتيح لقراءة العقل الأمريكي. ورغم أن التركيز على عامل واحد أو مدخل واحد كمفسر منفرد للعقل الأمريكي يحتمل قدرا متزايدا من التعميم، فإننا سنحاول تقديم نموذج لقراءة العقل الأمريكي يستند في بنائه إلى أحد العوامل الفاعلة التي يمكننا إيجاز أهم مدخلاتها في العامل الديني، وذلك من خلال رصد الجذور والأفكار الدينية والدور الذي يلعبه الدين في رسم العقلية الأمريكية وتأثيره على السياسة الخارجية الأمريكية عموما، وعلى السياسة الشرق أوسطية بالتحديد.

تمهيد

تقودنا دراسة بنية العقل السياسي الأمريكي إلى العديد من التدخلات المهمة لذلك العقل الأكثر تشابكا في عوامل تشكيله، فإذا رجعنا إلى دراسة جذور الوعي السياسي الأمريكي فسوف يتضح جليا مبدأ المصلحة المطلقة التي تُميّز التفكير الأمريكي مُثَلَّة في الفلسفة البراغماتية، إضافة إلى دور القاعدة الدينية التي بنيت عليها فاعلية اليمين الأمريكي وطموحاته في بناء إمبراطورية أمريكية. وبين هذين المبدئين هناك تشابكات فكرية، اقتصادية، وسياسية وقوى كثيرة فاعلة في البيئة الثقافية الأمريكية. ونحاول من خلال هذا العرض دراسة العقلية الأمريكية الغالبة من حيث السمات العامة أو المشتركة بين أنماطها الفكرية لتفكيكها واكتشاف بنيتها لتحقيق مزيد من الفهم للعقل الجمعي الأمريكي وتأثيره فكريا وسياسيا.

أولا: الجذور الدينية للفكر السياسي الأمريكي - واقعه ودوره في تشكيل الأمة الأمريكية -

قد يُظن أن علاقة الدين بالسياسي أمر قد حسمه الفكر والممارسة السياسية الإنسانية منذ زمن، غير أن إشكالية علاقة الدين بالسياسي تظل ملتبسة وحالة متجددة. ولعلّ النظام السياسي والمجتمع الأمريكي في بنيته وحركته وعلاقاته الداخلية والخارجية أوضح نموذج في هذا الصدد. على خلاف ما يظنه البعض من أن البراغماتية التي أخذت بها الولايات المتحدة الأمريكية كفلسفة سياسية قد حُدّت من قوتها وقطعت صلتها بلاهوت التأسيس، فقد أفضت التجربة السياسية الأمريكية أن هناك جمع لاف بين الحاضر والماضي، وبين الموروث الديني المركّب من عهدي الكتاب المقدس والخطب المأثورة للآباء المؤسسين الأوائل. وبالتالي بين ثقافة سياسية مشحونة بجرعات هائلة عن "رسالية" الأمة الأمريكية، هذا فضلا عن البراغماتية الشديدة الارتباط بممارساتها.

طبقا لرؤاها التأسيسية، فإن الفلسفة السياسية الأمريكية لم تفصل بين الديني والقومي، ولا بين أمريكا والعالم. وحين تبلغ الايدولوجيا الأمريكية أقصاها، يُلاحظ كيف تتحوّل عمليات التوظيف السياسي في مجالات نفوذها اللامتناهية إلى نشوء ما يسمى بالدين الجديد، أين يمتزج اللاهوتي بالقومي وكلاهما بالسياسي والأمني من أجل بقاء وغلبة الأمة المبعوثة لإنقاذ العالم.

أمريكا دولة متديّنة، دستورها يضع الأمة تحت حماية الله "God Bless America" وشعار عملتها القومية "بالله نؤمن" In God We Trust" ورئيسها يؤدّي يمين القسم الدستورية على الكتاب المقدّس. وتبعا للإحصائيات فإن 95% من الأمريكيين يؤكّدون أنهم يؤمنون بالله و80% منهم يعتقدون بأن الإنجيل ينقل كلام الله، و60% يترددون على الكنائس والمعابد ويبلغ حجم الهبات للمؤسسات الدينية 38 بليون دولار سنويا⁽¹⁾

وللتدليل على هذا الواقع الديني في الولايات يقول صامويل هانتغتون بأن الأمريكيين هم على نقيض الأوربيين متدينون، ويؤمنون الكنائس بأعداد كبيرة على الرغم من أن أمريكا كانت تغيب عنها علامات الانبعاث الديني التي ظهرت في منتصف الثمانينات⁽²⁾ انطلاقا

من هذه المعطيات يصعب أن يكتمل تصوّرنا عن الأسس الفكرية للمجتمع والفرد الأمريكي دون أن نتناول حقيقة البعد الديني ومدى الدور الذي يلعبه في سياسة الولايات المتحدة.

إن المفارقة التي تظهر لنا جليا في المجتمع الأمريكي تثير جملة من التساؤلات حول مدى عمق التصورات الدينية لدى الفرد الأمريكي ودورها في رسم السياسات العامة للدولة الأمريكية في الداخل والخارج. كما ترجع الصعوبة إلى خصوصية المسألة الدينية في المجتمع الأمريكي داخل السياق الغربي الذي تطبعه العلمانية. فقد نبّه المفكر الفرنسي Alexis de Tocqueville في كتابه "الديمقراطية الأمريكية" إلى هذه الخصوصية منذ زمن ، رابطا التدين الأمريكي ونمط الليبرالية القائمة في مجتمع قائم منذ البداية على التنوع الديني. حيث اعتبر بأن الديمقراطية الأمريكية الممثلة لسلوك ونمط الحياة الأمريكية تشوبها صبغة دينية يمينية مركبة ذات نزعة استعمارية رافقت تشكيل الولايات المتحدة الأمريكية⁽³⁾. فما هي مكانة الدين في الوعي السياسي الأمريكي؟ هل هي علاقة هيكلية أم شكلية؟ وما مدى تأثير هذا العامل على السلوك السياسي الأمريكي؟

القارئ لتاريخ الولايات المتحدة منذ تأسيسها، يمكنه أن يلحظ إلى أي حد مثّل الدين أساسا أقيم عليه العالم الجديد ، فقد نشأت الأمة الأمريكية في ظروف فريدة من نوعها وكان لهذا الأمر أثره البالغ في ترسيخ نموذج من القيم الاجتماعية والفكرية ونمط خاص من الرؤية والسلوك السياسي المتفرد الذي طبع الحياة الأمريكية. وتقوم فلسفة المفهوم الديني على مبدئين:

* الطاعة: وهي الفكرة الجوهرية التي يقوم عليها الدين أي طاعة الأوامر الإلهية.

* القوة : وهي قوة الإيمان بالخالق وقدرته على معاقبة مخلوقاته .

هذه الاعتقادات حملها المهاجرون الأوائل الذين عرفوا بالتطهريين (Puritains) إلى العالم الجديد عام 1620. لقد تشكّلت هذه الجماعات من المهاجرين الأوروبيين الذين حملوا معهم العقيدة البروتستانتية الكالفينية بالأساس بعدما اضطهروا في أوروبا. وعلى الرغم من أن الكالفينية كانت لها رؤيتها الخاصة للعالم والحياة الإنسان وخلاصه، إلا أن هذه الرؤية لم تكن منقطعة الصلة عن الواقع الاجتماعي الذي وُجدت فيه أي السياق الأوروبي بتفاعلاته، لذا فإن الانتقال بهذه الرؤية إلى العالم الجديد كان يتطلب نوعا من المواءمة. ويعتبر الكثير من الباحثين أن المهاجرين البروتستانت الأوائل كانوا متأثرين باليهودية تأثيرا مركبا ؛لاهوتيا - تاريخيا - سياسيا⁽⁴⁾، ما أفرز تلاقحا بين البروتستانتية واليهودية التي لا تزال أثارها إلى اليوم خاصة في التيارات الأصولية. ويعود هذا التأثير لرؤية المستوطنين الجدد البروتستانت للعالم الجديد باعتباره القدس الجديدة، حيث شعروا أن تجربتهم الناشئة تجعلهم متماثلين مع المنفيين العبرانيين الذين ذُكروا في التوراة. فمنذ نزوح المهاجرين الإنجليز الأوائل WASP⁽⁵⁾، كان أملهم العيش وفقا لمبادئ الكالفينية على الأرض الجديدة، وكان لهذا الشعور أثره على أرض الواقع، تمثّل في الكيفية التي تعايش بها المستوطنون الجدد مع المكان من حيث إطلاق أسماء عبرانية على الأماكن التي يُقيمون بها وعلى المواليد الجدد، إضافة إلى تعليم اللغة العبرية في المدارس والجامعات، حتى باتت أمريكا بالنسبة هؤلاء بمثابة النموذج الروحي للعهد القديم⁽⁶⁾.

لقد تأكّد هذا التعاطف أكثر بين البروتستانتية واليهودية عندما بدأت الولايات المتحدة تشهد موجات من الهجرة الكثيفة من اليهود، الأمر الذي ولّد اعتقادا راسخا في اللاهوت البروتستانتي الأمريكي بضرورة البعث اليهودي، بمعنى أن عودة المسيح الثانية لن تتحقق إلا مع عودة الدولة اليهودية وتضافر هذا عمليا مع الحركة الصهيونية في مبادئها.

أما عن الجذور التاريخية لهذا الارتباط العقائدي بين المسيحية واليهودية فتعود إلى حركة الإصلاح الديني التي قادها "مارتن لوثر" في القرن السادس عشر ضد البابوية ونشوء المذهب البروتستانتي ، حيث ألّف كتابا سنة 1523 أسماه *عيسى وُلد يهوديا * ضمّنهُ الكثير من الأفكار عن اليهود، كما اعتبر العهد القديم (التوراة) مرجعا أساسيا للاعتقاد البروتستانتي ومصدرا للمسيحية النقية خلافا للكنيسة الكاثوليكية التي تعتبر أن تاريخ الأمة اليهودية قد انتهى وأن الرب طرد اليهود من فلسطين بعد صلبهم المسيح. وعن طريق مارتن لوثر ومذهبه البروتستانتي تسربت الأدبيات اليهودية والتوراتية إلى المسيحية ومنها أن اليهود هم شعب الله المختار، وأن هناك ميثاقا إلهيا يربط اليهود بالأرض المقدسة - فلسطين - وربط الإيمان المسيحي بعودة المسيح الثانية التي لن تتحقق بدون قيام دولة صهيون. لقد ترسّخت لدى المهاجرين الأوائل فكرة أن تجربتهم هي نفسها التجربة التي مرّ بها اليهود القدماء عندما فروا من ظلم فرعون إلى أرض فلسطين. فكثير من البروتستانت فروا من الاضطهاد الديني في أوروبا وتحديدا في ظل حكم عائلة آل ستيوارت بالإنجلترا إلى أمريكا (كنعان الجديدة). كما اعتبرت مطاردة البيوريتانيين للهنود الحمر في العالم الجديد مثل مطاردة العبرانيين القدماء للكنعانيين . بذلك كان دور التطهريين في إبادة السكان الأصليين بغطاء ديني

من التوراة باعتبار أنهم حملوا معهم العقيدة الأكثر دموية في تاريخ البشرية⁽⁷⁾، وأن العنصر الأنغلوساكسوني الشبيه بالشعب اليهودي قد اختاره الله لتحضير العالم⁽⁸⁾ من هنا يتضح وكأن المستوطنين كانوا بحاجة إلى منطلقات تسوّغ أفعالهم ضد الهنود الحمر، وتضفي عليها نوعاً من الشرعية الأخلاقية، فوجدوا هذه المسوّغات في العهد القديم. ذكر القس البروتستانتي "صامويل ويكمان" في موعظته الشهيرة على ظهر السفينة "أرابيلا" التي حملت التطهريين الأوائل إلى خليج ماساشوستس: «إن أورشليم كانت، لكن نيوانغلند المستعمرة الأولى هي الموجودة الآن، وأن اليهود كانوا، ولكنكم أنتم البروتستانت التطهريين شعب الله المختار...». وعندما وصلت المجموعة الثانية إلى شاطئ نيو انغلند على ظهر السفينة Mayflower عام 1620 وأسسوا مستوطنة Plymouth، وقّعوا فيما بينهم "عهد ماي فلاور" الذي حدّدوا فيه طريقة الحياة التي يرغبونها وأسس المجتمع المثالي في أورشليم الجديدة في أمريكا⁽⁹⁾. وتعتبر "*May flower Compact*" بمثابة وثيقة دستورية أولية تنشئ ثيوقراطية تضع البلد الجديد في رعاية الله، رابطة بذلك رابطاً وثيقاً بين المجالات الاجتماعية والدينية. لقد جاءوا ليعيشوا إيمانهم، لذا فإن تراجعهم لاحقاً إنما هو تراجع تكتيكي أملته الظروف، فالحياة في ظل تعددية مذهبية فرضت عليهم ذلك مؤقتاً حتى تتغيّر الأوضاع. وهنا يصبح النص الدستوري الأمريكي خاضعاً في تفسيره للواقع والأطراف الفاعلة فيه. فلقد اعتبر مؤسسو أمريكا (Puritans) أنها "أورشليم الجديدة" التي هاجروا إليها من أجل الحرية. ولا يعني هذا أن القيم الدينية والمثالية هي المهيمنة على الوجدان الأمريكي، ولكن الأمر في حقيقته أشبه بصراع دائم بينهما وبين قيم النفعية والاستغلال التي تتخفى عادة تحت قناع الواقعية ورسالة أمريكا للعالم. من هذه المنطلقات العقائدية والخلفيات التاريخية تتضح العلاقة بين المسيحية واليهودية، وكيف انتهى الإصلاح الذي بدأه "مارتن لوتر" و"جون كالفن" بتهويد المسيحية، وكيف كان ذلك التهوّد نتيجة منطقية لمشكلة في المصادر المسيحية، جعل المسيحيين البروتستانت يعتمدون العهد القديم (التوراة) في تصوراتهم ونظام قيمهم أكثر مما يعتمدون على العهد الجديد (الإنجيل). كما يُظهر المخاض الفكري والإعتقادي الذي جعل المسيحية البروتستانتية تنتقل من استبعاد اليهود بتهمة أنهم قتلوا المسيح إلى تقديسهم باعتبارهم شعب الله المختار. وفي بحثنا موضوع الأصولية الخاصة بالدين المسيحي، فإننا سنركّز على هذه الأصولية وفق المذهب البروتستانتي أو ما يسمى أحياناً بالمذهب الانجليكاني. إن تركيزنا تحديداً على الإصلاحات البروتستانتية في جوهر الدين المسيحي مُتأتٍ من التشكّل السياسي للأصولية الدينية المطبّقة والمتركَزة في الولايات المتحدة الأمريكية ذات الأغلبية الانجليكانية. حيث أن الإصلاح الديني الذي انفجر بين المسيحيين اعتمد في أحد إصلاحاته المؤثرة للجدل على شكل الدور الذي يقوم به العهد القديم (التوراة) إلى غاية عودة السيد المسيح. بما يعني بداية عملية التغيير التاريخية لصالح اليهود، وبما اثبت في ما بعد عن الصهيونية بأشكالها المتعددة. فالصهيونية المسيحية، وهي المنزشرة في الأصولية الانجيلية، وبشكل خاص في جميع فرق وفئات البروتستانت المتعددة، ترى في العهد القديم المصدر الوحيد للاجتهد والاستنباط الأحكام والفلسفة الدينيّة. كما أن هذه الفرق حوّلت العهد القديم من كتاب ديني إلى كتاب سياسي يقوم على قاعدة العهد الإلهي بالأرض المقدمة للشعب اليهودي المختار⁽¹⁰⁾. بهذا تسرّبت إلى صميم العقيدة المسيحية أدبيات يهودية تبنّتها الفرق البروتستانتية شكّلت مكوّنات أساسية للتطابق الحاصل في فهم الأصولية الدينية بين ما يطرحه اليهود المتطرفون وبين ما تطرحه الفرق البروتستانت، بحيث بدأ أنه لا فرق واضح فيما بينهما. وقد تركّزت هذه الأدبيات بشأن الأمور التالية:

1. أن اليهود هم شعب الله المختار، لذلك يكونون الأمة المفضلة على كل الأمم.
 2. أن ثمة ميثاقاً إلهياً يربط اليهود بالأرض المقدسة في فلسطين، وأن هذا الميثاق هو ميثاق مستمر حتى قيام الساعة.
 3. ربط الإيمان المسيحي بعودة المسيح بقيام دولة صهيون، أي بإعادة تجمع اليهود في فلسطين حتى يظهر المسيح فيهم.
- لقد جرى تغذية المسيحية البروتستانتية بهذه المعتقدات، بحيث أصبح الإيمان بمساعدة اليهود في إقامة دولة في فلسطين نوع من العبادة التي تعبّر عن المشاركة الإنسانية في تحقيق الإرادة الإلهية. وهو ما أصبح يعرف بالصهيونية المسيحية التي تربط الدين بالقومية والتي تسخر الاعتقاد الديني المسيحي لتحقيق مكاسب يهودية بحتة.
- لقد اتّحد السياسي بالديني واللاهوتي بالتاريخي فخلق علاقة مميزة بين البروتستانتية واليهودية بشكل عام، وبين الأصولية البروتستانتية والصهيونية المسيحية بشكل خاص، فكل هذه التفرعات المذهبية تشترك في الأصول رغم بعض الاختلافات الفرعية حيث نجد أن:

- الأصولية المسيحية: تركز في فهمها للعهد القديم (التوراة) على موضوع مركزي وهو موضوع إسرائيل المحوري وشعبها المختار. يذهب هذا المذهب إلى تسييس رؤيته الدينية معتبرا أن إسرائيل الواردة في العهد القديم هي إسرائيل المعاصرة في فلسطين، وأن قيامها عام 1948 هو تأكيد لصحة النبوءات التوراتية وعلاقتها باقتراب العودة الثانية للمسيح .

- الانجيليون : يلتقون مع الأصوليين المسيحيين في الإيمان بعصمة التوراة وقبول المسيح منقادا، كما لا توجد فروق بينهم اتجاه إسرائيل ودورها المبشر، وبالتالي ضرورة الدفاع عنها.

- الصهيونية المسيحية: تهدف إلى تأييد قيام دولة إسرائيل في فلسطين ودعمها بكل الأشكال بوصفها حقا تاريخيا ودينيا.

- أما عن أدبيات الصهيونية المسيحية فلقد تأثرت بحركات تنطلق جميعها من تفسيرات للنبوءات الدينية الواردة في التوراة إذ تهتم:

- الحركة الأولى بقضية مؤشرات نهاية الزمن.

- الحركة الثانية بقضية التقرب من اليهودي من أجل المسيح.

- الحركة الثالثة بقضية التركيز على الدفاع عن إسرائيل ومباركتها.

ورغم تباين هذه الاهتمامات بل وحتى تناقضها أحيانا فإنها تلتقي أولا حول التأويل الحزبي للتوراة، وتلتقي ثانيا حول الإيمان بأن المستقبل الكارثي للإنسانية أمر مبرمج ومقرر إلهيا، وتلتقي ثالثا حول وجوب مساعدة اليهود على التجمع في فلسطين لتحقيق عودة المسيح الثانية.

يعد تيودور هرتزل أول من استعمل تعبير "الصهيونية المسيحية" وكان مدلوله في ذلك الوقت يعني أنه المسيحي الذي يدعم الصهيونية، ثم تطوّر هذا المعنى فيما بعد ليأخذ بعدا دينيا، وهو أن المسيحي الصهيوني هو إنسان مهتم بتحقيق نبوءات الله من خلال الوجود العضوي لإسرائيل، بدلا من مساعدته على تحقيق برنامجه الإنجيلي من خلال جسد المسيح. وللاشارة فإن تراث اللاهوت البروتستانتي (البيوريتاني المتهوّد) والعقيدة الألفية، هو التراث الذي انبثقت عنه المسيحية الصهيونية الأمريكية والتي طالبت بوطن قومي لليهود في فلسطين حتى قبل مطالبة الصهيونية اليهودية .

لقد تحوّل التعاطف الوجداني الديني مع اليهود إلى ضغط سياسي لتحقيق الهدف الروحي السياسي المتمثل في إقامة وطن يهودي. فقد تم تأسيس عدة منظمات بروتستانتية لتحقيق ذلك مثل "البعثة العبرية من أجل إسرائيل" "on Behalf of Israel Hebrew Mission" التي أسسها القس وليام بلاكستون 1841-1935، وبقيت مستمرة في مهمتها حتى اليوم باسم جديد "الزمالة اليسوعية الأمريكية" "American Messianic Fellowship" والتي تُعدّ من مراكز الضغط الصهيوني المسيحي في الولايات المتحدة الأمريكية⁽¹¹⁾. كما وضع القس سايروس سكوفيلد ما يُعرف باسم الإنجيل سكوفيلد المرجعي عام 1917 الذي أعيد طبعه عدة مرات والذي أصبح بمثابة العمود الفقري للفكر الأصولي للإنجيلية الصهيونية .

وعموما يستمدّ قساوسة هذه الحركة المعاصرين أمثال "بيل غراهام" وابنه "فرانكلين غراهام"، و"جيرمي فالويل" و"بات روبرتسون" و"هول لندسي" وغيرهم أفكارهم التي تفسّر الأحداث السياسية في ضوء التأويلات التوراتية.

يمكن القول بأن المفاهيم الأساسية للمسيحية الصهيونية التي تميّزها عن باقي المسيحيين في التصوّر أو تميّزها عنهم في التأويل هي: آخر الزمان "apocalypse"، عودة المسيح، معركة هرجمكدون "Armageddon" والألفية السعيدة "Millénaire". بهذا المنظور الديني والسياسي ووفق تأويلها الخاص تضع المسيحية الصهيونية دستوراً شاملاً للحياة ودليلاً عملياً للسياسة والنظر إلى العالم نظرة جدّية فاصلة تقسمه إلى محور الخير ومحور الشر كخطين متوازيين لا يلتقيان .

لقد آمنت الصهيونية المسيحية قبل تأسيس دولة إسرائيل بعودة الشعب اليهودي إلى الأرض الموعودة في فلسطين، وإقامة كيانه فيها تمهيدا للعودة الثانية للمسيح. وبعد قيام دولة إسرائيل عام 1948 أخذت تنظر إليها كحدث وإشارة تؤكد معتقداتها.

يشير الرصد التاريخي لمسيرة الدين البروتستانتي في الولايات المتحدة إلى أمرين:

1- التهوّد الذي طال الاتجاهات الأصولية، حيث تمتّ "عبرنة" المسيحية في أمريكا فبدت "العبرنة" واضحة في الثقافة السائدة .

2- أن اليمين المسيحي الذي يمثّل طليعة سياسية حاملة للقيم الأصولية، يعمل على أن يجعلها موضع التنفيذ.

بالتالي أدت هذه الاتجاهات المتهوِّدة إلى صياغة قالب ديني بروتستانتي يهودي قاعدته * التراث المسيحي - اليهودي المشترك، * الأخلاق المسيحية - اليهودية، * الالتزام الأدبي والأخلاقي بدعم إسرائيل. كما كان للتصورات النظرية التي رُوِّج لها الأصوليون في بداية القرن العشرين أن شكَّلت كيانا تنظيميا يؤهلها للتجسيد العملي وذلك من خلال تأسيس الرابطة الوطنية للإنجيليين عام 1942 التي ضمَّت تحتها الآلاف من الكنائس الأصولية في أمريكا. وترى هذه النظرة الأصولية ممثلة في أحد الرواد المعاصرين "بات روبرتسون" وهو مؤسس ورئيس شبكة التلفزيون المسيحية CBN وعدد من المراكز والجامعات الخاصة التي تدرِّس المسيحية، كيف أن أمريكا ستكون في حالة نحوض ودورها مركزي عندما تستعيد تراثها اليهودي - المسيحي حينما أكَّد على ضرورة أن يكون للمسيحيين صوتا في الحكومة، حيث وُضِع برنامجا خاصا يتضمن تدريب المسيحيين على القيام بأعمال اجتماعية مؤثرة تُسهم في توعية المسيحيين بالقضايا والتشريعات المزمع سنُّها، وكذا تمثيل المسيحيين في كل مستويات الإدارة الأمريكية⁽¹²⁾.

وبعيدا عن الجدل، نجد بأن الدين في الميدان السياسي له تأثيرات عكسية في أسلوب النقاش ويُسهم في وجود التعصب، بذلك يَنسِف التعلُّل الذي يتطلبه النقاش السياسي لاتخاذ القرارات، فعندما يدخل الدين إلى ميدان السياسة فإنه قد يصبح متأكدا جدا أنه على حق.

ثانيا: علاقة الدين بالسياسة وأثره في السلوك السياسي الأمريكي

يعتبر الفكر السياسي حصيلة تفاعل مجموعة من العوامل الذاتية والموضوعية المتداخلة، تصقلها عملية التطوُّر التاريخي، ومن ثمَّ تكون لها إفرازاتها في الجوانب المتعددة من الحياة. كما يتداخل الشأن السياسي بالأمر الديني إلى درجة كبيرة في حياة الشعوب. فالكثير من التوجهات التي تُبنى مزاج الشعوب وتشكِّل الرأي العام، تساهم الرؤية الدينية في تشكيلها إلى حد بعيد. فما هي آثار الدين على السلوك السياسي الأمريكي ؟ وهل العلمانية تقود الدين لتحقيق مصالحها أم أن الأمر عكس ذلك ؟ وكيف أثر البعد الديني في صياغة السياسة الخارجية الأمريكية ؟

على الرغم من أن دستور الولايات المتحدة الأمريكية كباقي الدول الغربية يقوم على فصل الدين عن الدولة، إلا أن دور الدين لم يغيب أبدا عن صياغة الخطوط العامة للسياسة الأمريكية والقرار السياسي الأمريكي. فالفصل بين الكنيسة والدولة في التجربة الأمريكية لم يتحوَّل يوما إلى فصل الدين والمجتمع⁽¹³⁾.

لا شك في أن دور الكنيسة في الحياة الأمريكية وتأثيرها في الثقافة العامة والسياسات العامة يختلف تماما عما هو في أوروبا. ففي أمريكا ترتدي الكنيسة نسيج الأمريكي، فمثلا يتصَّف الأمريكي بأنه في حالة تغيُّر وإصلاح مستمرة فالكنيسة كذلك. أي هناك تجاوز للمفهوم التقليدي والرمزي الذي تمثله الكنيسة عموما. لقد تزايدت قوة المؤسسات الدينية في المجتمع الأمريكي بسبب تنظيمها العالي وإمكاناتها الضخمة⁽¹⁴⁾، حيث نجد الكنيسة نفسها أكثر انطلاقا في التعبير عن قضايا المجتمع المختلفة، كما أنها تستخدم نفس الأساليب والوسائل التي تستخدمها المنظمات والمؤسسات غير الدينية للتأثير على السياسات العامة وخصوصا ممارسة أساليب الضغط (Lobbying).

لا تقف الكنيسة في تحديد إطارها عند رجال الدين واللاهوت والإداريين أو عند أتباعها، بل هي نظام شمولي الأغراض والنشاطات والعلاقات. رسالتها الدينية غير منفصلة عن الحياة العامة حيث أصبحت بمثابة مجتمع سياسي له القوة الاجتماعية الضرورية في صنع القرار السياسي. ولكونها منظمة مؤسساتية فهي تساعد أتباعها في تنمية تعاطفهم وتعاملهم مع المسألة الدينية. من هنا أنت المقولة التي تصنِّف المجتمع الأمريكي بأنه أكثر المجتمعات الغربية تدينا وهو ما يعكسه كثرة المعاهد والمدارس والجامعات الدينية فضلا عن العدد الهائل من وسائل الإعلام المختلفة التي تخضع للملكية الكنائس المسيحية، لدرجة أن نجمان من نجومها "جيري فالويل وبات روبرتسون" يتلقيان أموالا أكثر مما يتلقاه الحزبان الرئيسيان في الولايات المتحدة الأمريكية، إضافة إلى وجود العديد من التكتلات التي تخضع في ملكيتها لـ wasp وهذه التكتلات تتحكم في 90% من المعلومات التي يتلقاها المواطن الأمريكي⁽¹⁵⁾.

لقد أوضحت "غريس هالسل Grace Halsell" وهي صحفية سبق و أن عملت كاتبة خطابات الرئيس الأمريكي الأسبق جونسون في كتابين شهيرين هما « النبوة والسياسة » و « يد الله » دور وعقائد هذه الحركات الدينية المسيحية التي تمتلك لوحدها 1400 محطة دينية في أمريكا، تبث أفكارها من خلالها، يعمل فيها 80 ألف قسيس إنجيلي، أكثرهم من الذين يعتبرون إسرائيل تحلييا إلهيا وتجسيدا لنعمه من أجل خلاص البشرية⁽¹⁶⁾. إضافة إلى أكثر من 250 منظمة مسيحية صهيونية تعمل من أجل المصالح الإسرائيلية. ويقدر عدد أتباع هذه الحركات بـ 40 مليون شخص⁽¹⁷⁾. ففي الوقت الذي كان التراث المسيحي يقول بأن الكنيسة هي الوريث للديانة العبرية، تغيَّرت الأمور بعد حركة

الإصلاح الديني، حيث شاع القول بأن العصمة محدّدة بالكتاب المقدّس وحده⁽¹⁸⁾ من هذا الاعتقاد يبدو المدى الذي وصلت إليه عملية تهويد المسيحية من خلال أن ما وُرد في العهد القديم هو نبوءة حرفية للمستقبل⁽¹⁹⁾.

لقد أصبح الوعظ اللاهوتي الشغل الشاغل لليمين المسيحي الأمريكي. فمن خلال شبكة هائلة من مئات المحطات التلفزيونية والإذاعية يقوم عشرات الآلاف من الوُعّاظ الأمريكيّين بالتغلغل في قلوب وعقول الملايين من الأمريكيّين، بذلك تطوّر الاستشراق الأمريكي ليصبح ليس مجرد مصطلح لغوي فكري أكاديمي فقط، بل ليتحوّل إلى قوة دينية وسياسية فاعلة. فغزو العراق في 2003 كان لهؤلاء بمثابة علامات لتحقيق النبوءات الأبوكاليتية apocalyptic⁽²⁰⁾. وهكذا فإن البعد الديني ممثلاً في هذه النشاطات الاجتماعية والثقافية و السياسية له تأثير على صانع القرار السياسي ويساهم في صياغة السياسة الداخلية والخارجية.

لقد لعبت الكنيسة طوال التاريخ الأمريكي دوراً مهماً في السياسة الأمريكية حيث أعطت لطريقة الحياة ولنظامها "صفات مقدّسة" باعتبار أن الأمريكيّين شعب الرب المختار المكلف بالمهمة الرسالية لخدمة السلام والديمقراطية⁽²¹⁾، "فالمسيحية الرسالية الجديدة" Néo Messianisme قائمة على التداخل بين الله و الولايات المتحدة الممثلة للدين المدني الأمريكي⁽²²⁾ معنى ذلك أن الدين والسياسة شكلاً نسيجاً متداخلاً عبر تاريخ الولايات المتحدة حيث لعب الدين إلى جانب عوامل أخرى دوراً مؤثراً في سلوكيات النخب، كما أثر في طريقة عرض المرشّحين والمسؤولين المنتخبين لقضاياهم على عامة الناخبين.

ولم يقتصر الإيمان بالأفكار الدينية على عوام الناس بل آمن بها المسؤولون في الإدارات الأمريكية المتعاقبة، كما حملها وآمن بها رؤساء أمريكيون. فالثابت أن رؤساء أمريكا بدءاً من جورج واشنطن قد اعتمدوا على الحس الديني ليس للتأثير على عقول الناس فحسب، بل لتأييد الأهداف الرئاسية. وما يحدث من دعم سياسة القوة والعنف التي يمارسها الصهاينة و يقبلها الأمريكيون يأتي كوجبة أساسية لمكوّنات معتقداتهم. صحيح أنها سياسة غير شرعية على الإطلاق، ولكنها من وجهة النظر الأصولية الصهيونية سياسة يجيزها "الرب" الذي وعد اليهود بالسيطرة على الأرض⁽²³⁾.

لقد انعكس تأثير البعد الديني وتحيّدا الحركة المسيحية الأصولية على عدد من صنّاع القرار السياسي الأمريكي بدرجات متفاوتة وفي فترات زمنية مختلفة، ويظهر ذلك من خلال بعض مواقفهم أو تبنيهم لأفكار دينية الدلالة والرمزية. فعلى سبيل المثال اقترح الرئيس توماس جيفرسون على الكونغرس أن يكون رمز أمريكا على شكل أبناء إسرائيل تقودهم في النهار غيمة وفي الليل عمود من النار بدلاً من النسر، ويتفق هذا الاقتراح تماماً مع النص الوارد في سفر الخروج "... وكان الرب يسير أمامهم نهاراً في عمود سحاب ليهديهم في الطريق وليلاً في عمود نار ليضيء لهم ...، كما عبّر الرئيس وليام تافت عام 1912 خلال حربه ضد المكسيك قائلاً: « سوف نظل نقاتل المكسيكيين حتى يقتنعوا بأن هناك رباً في إسرائيل يجب أن يطاع وكان يقصد بإسرائيل هي الولايات المتحدة الأمريكية⁽²⁴⁾. كما ذكر الرئيس جيمي كارتر في مقدمة كتابه مصادر القوة "sources of strenght" أن كتابه هذا هو حصيلة دروس تفسير الكتاب المقدس التي كان يقدّمها في إحدى الكنائس المعمدانية بواشنطن خلال فترة رئاسته، بمعنى أن كارتر ظل يلقي دروساً دينية في كل الظروف حتى وهو رئيساً للولايات المتحدة، كما أكد على التقارب الديني بين الولايات المتحدة الأمريكية وإسرائيل عندما تحدث أمام الكنيست الإسرائيلي في مارس 1979 قائلاً: « لقد آمن سبعة من الرؤساء الأمريكيّين وحسّدوا هذا الإيمان بأن جعلوا علاقات الولايات المتحدة مع إسرائيل علاقة فريدة.... لقد شكّلت إسرائيل والولايات المتحدة مهاجرين طليعيين ونحن نتقاسم تراث التوراة»، مؤكداً على هذا التقارب بقوله: " تأسيس الأمة الإسرائيلية يرجع إلى تحقيق النبوة الإنجيلية"⁽²⁵⁾ واعتبر «أن بقاء إسرائيل لا ينطلق من السياسة، بل إنه واجب أخلاقي»⁽²⁶⁾.

هذه الاعترافات لرئيس أمريكي تُبرز إلى أي مدى هي تلك العلاقة العضوية بين إسرائيل والولايات المتحدة، وهو الشيء الذي يفسّر السياسة الأمريكية تجاه منطقة الشرق الأوسط. فعند طرحه فكرة المفاوضات من أجل الحقوق الفلسطينية في وطنهم، رفضت التيارات الإنجيلية ذلك بتعبيرها "سراقب بقلق تام كل جهد في إقامة أمة أو وحدة سياسية داخل الوطن اليهودي"⁽²⁷⁾.

أما عن الرئيس رونالد ريغان فقد تحدّث بعبارة توراتية عن إسرائيل وعن حقها التاريخي في فلسطين، كما عبّر عن إيمانه باقتراب نهاية العالم وحدوث معركة الخبز والشر (هرمجدون - Armageddon) مشيراً إلى دور إسرائيل في هذه المعركة.

لقد استخدمت الولايات المتحدة الأمريكية التبريرات الدينية والقيمية في صراعها الإيديولوجي مع الاتحاد السوفياتي ، حيث مثّلت إدارة ريغان النموذج الواضح في توظيف الدين في السياسة الخارجية لاعتقاده بأن المعركة الأخيرة بين الخير والشر ستقوم بين إسرائيل وأمريكا ضد قوى الظلام التي يقودها الاتحاد السوفياتي الملحد (الشیطان الأكبر)، وستكون إسرائيل موقعا لحدوث هربمجدون.

أما عن جورج والكر بوش فقد كانت فترة إدارته من أكثر الفترات التي عرفت وصول الأصوليين المسيحيين مدعّمين بالمحافظين الجدد. كما استخدمت إدارته تفسيرات ومعتقدات دينية لتسويق السياسات التي تبنتها هذه الإدارة . ويعتبر المؤرخ الأمريكي " آلان ليشمان " أن ما قام به جورج بوش من خلط بين الدين والسياسة هو أمر لا سابقة له. فلم يكذب يُمّر عام على تسلّم جورج والكر بوش مقاليد الرئاسة في البيت الأبيض حتى تجمّعت لديه العوامل التالية :

- 1- الإيمان والالتزام بعقيدة الحركة الصهيونية المسيحية ، تجسّد ذلك في تقرب قادة هذه الحركة منه.
- 2- نجاح المنظمات والجمعيات التابعة للحركة الصهيونية المسيحية في تعزيز حضورها السياسي و الإعلامي و الديني، وتحوّلها إلى قوة انتخابية وإلى قوة ضغط شديدة التأثير.
- 3- وقوع أحداث 11 سبتمبر 2001 التي ألهبت مشاعر الغداء ضد العرب والمسلمين.

تكاملت هذه العوامل الثلاثة في دفع الحركة الصهيونية المسيحية نحو مزيد من التطرّف وكان تطرّفها في هذه المرة مُجلبّا بشرعية الرئيس الأمريكي نفسه. وبذلك وجدت ثقافة كراهية العرب والمسلمين طريقها كسبيل لتبرير القرار الأمريكي إزاءهم. من هنا كانت للحرب الأمريكية على العراق مسوِّغات دينية إلى جانب الدوافع الاقتصادية والاستراتيجية، وكانت نقطة محورية متقدمة من الحرب التي أرادتها الصهيونية بمناحيها المسيحي واليهودي والتي جعلت من إدارة جورج بوش الابن حصنا لها.

من هذا المنطلق يمكن تفسير السياسة التي انتهجها بوش الابن بأنها انطلقت من قناعات شخصية تحوّلت إلى مناورة سياسية. حيث صرّح بأن المفكر الذي كان تأثيره عليه كبيرا هو يسوع المسيح ،وأكد حرصه على الاقتداء به ،بالتالي كانت الموضوعات الدينية والأخلاقية محورا للبرامج والحملات الانتخابية. إذن من خلال إدارة جورج والكر بوش، تلاقت ثلاث اتجاهات فكرية تمثلت في المحافظين الجدد، الاتجاه الانجيلي والصهيونية المسيحية، مبرزة ظاهرة جديدة في تقييم السياسة الأمريكية ومشيرة إلى دور غير معهود للديانة المسيحية والمسيحية الصهيونية في صياغة السياسة الخارجية الأمريكية. ويمكن الاستدلال على ذلك بخطابات الرئيس بوش الابن وإشارته إلى أنه يخوض حربا صليبية في مواجهة الإرهاب ومحور الشر.

ثالثا: الصبغة الدينية للسياسة الأمريكية الشرق أوسطية

من المعلوم أن المحور الذي تدور حوله السياسة الأمريكية في الشرق الأوسط هو إسرائيل، ولاشك في أن الانحياز الأمريكي والدّعم اللا محدود له أسباب ومسوغات عديدة. فالفكر السياسي الأمريكي مبني على ثلاثة قواعد هي: فكر الآباء المؤسسين، تأثير الفلاسفة في السياسة الأمريكية ودور الدين كمحدّد قوي في بعض القضايا تحديدا فيما يتعلق بالشرق الأوسط.

لقد اختلفت الآراء وتنوعت الاجتهادات في تفسير الدوافع من وراء السياسة الأمريكية المتحيزة دائما لإسرائيل ما بين إعطائها بعدا عقديا إيديولوجيا وبين تسطيحها وجعلها مصالح مشتركة فقط بين أمريكا وإسرائيل.

يُغفل العديد من الباحثين عن لبّ هذه القضية وجوهر الصراع في المنطقة ألا وهو البعد العقائدي، هذا دون تهميش الأبعاد الأخرى كالبعد الاقتصادي والسياسي التي تساهم كلها في بلورة الموقف الأمريكي من الصراع العربي الإسرائيلي .

يميل الكثير إلى تفسير السياسة الأمريكية في الشرق الأوسط وفي العالم الإسلامي بشكل عام تفسيراً مصلحياً براغماتياً دون الأخذ بعين الاعتبار الرؤى الموجهة والعقائد الدينية الدافعة إلى هذا الموقف السياسي أو ذاك، فيفقدون ذلك عمق الربط بين السلوك والدوافع والنظرة التركيبية الشاملة التي تحتوي مختلف جوانب الموضوع.

ويرجع هذا القصور المنهجي إلى تصوّر تبسّطي للعلاقة بين الدين والدولة في أمريكا، حيث يميل الباحثون إلى قياس التجربة التاريخية الأوروبية من حيث أنها نتاج لصراع مرير بين الكنيسة والدولة. وربما غابت حقيقة تاريخية مهمة وهي أن الصراع بين الدين والدولة حتى في أوروبا لم ينته بهزيمة الدّين بل بهزيمة الكنيسة وانتصار المسيحية، وهو أمر يحتاج إلى تجريده لفهمه ، فهزيمة شخص أو مؤسسة يدّعي تمثيل مبدأ أخلاقي أو فلسفي لا يعني بالضرورة هزيمة لذلك المبدأ بل قد يكون نصرا مؤزّرا للمبدأ ذاته. على أن التاريخ الأمريكي له خصائص تجعله

متميزا عن التاريخ الأوروبي. فرغم أن المجتمع الأمريكي هو مجتمع علماني، و المجتمع العلماني يرفض بوجه عام المؤسسة الدينية أو يفصل بينها وبين الدولة ولكنه لا يرفض القيم الدينية الضابطة للمجتمع⁽²⁸⁾، بمعنى آخر لا تحكّم للدين في السلطة السياسية ولا في النظم المؤسسية والتشريعية، إلا أنه يختلف بجلاء عن غيره من المجتمعات الغربية الحديثة من حيث طغيان الرمزية الدينية على مختلف أوجه النسق الاجتماعي وقوة تأثير المؤسسة الدينية بصفتها ركيزة المجتمع المدني وعمق تدنّي الفرد الأمريكي العادي.

لقد أدى تأثير الكنيسة المسيحية الأصولية في الثقافة العامة للأمريكيين على تصوير الصراع العربي الإسرائيلي على أنه امتداد للصراع التوراتي بين داود وجالوت، إذ توصف إسرائيل دائما بالصغيرة وبالضعيفة بمثابة داود الذي انتصر على العرب الأغنياء الأقوياء الممثلين لجالوت. إذن مسوغات الدعم للامحدود لإسرائيل يرجع في أصوله إلى العقيدة الدينية المنتشرة في الولايات المتحدة الأمريكية، والتي ترى ببساطة أن إسرائيل تمثل إرادة الله وأنها تحقيق للنبوءات الدينية الواردة في الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد والذي غدّى ودعم معتقد بعض قطاعات المسيحية الغربية من زاويتين:

1- ساند القناعة المسيحية بعودة المسيح الوشيكة.

2- في الحجيء الثاني للمسيح سيحقق وينجز ما لم يحققه في الحجيء الأول.

تسربت الأدبيات التوراتية واليهودية إلى المسيحية وبهذا تحوّلت فلسطين في الضمير البروتستانتي من الأرض المقدسة للنصارى إلى أرض شعب الله المختار. فإسرائيل موجودة في المعتقد المذهبي الأمريكي حتى قبل الحركة الصهيونية بقرون. هكذا نجد بأن الصهيونية المسيحية قد انبعثت حتى قبل الصهيونية اليهودية بعقود، وتتلخص عقيدتها في أنه من أجل عودة المسيح يجب أن يتجمّع اليهود في فلسطين وأن يقيموا الهيكل بالقدس، حتى تحدث معركة "هرمجدون" ثم يعود المسيح ليبيد أعدائه ويحكم العالم بعدالة وسعادة مدة ألف عام .

لقد نجح الوعّاظ في أن يجعلوا من الرؤية المقدسة لإسرائيل واجب ديني، في حين أنها ليست سوى ميثولوجيا عملت على تشويه رسالة المسيح. وهو ما شجّع إسرائيل على المضي في تحدّي المجتمع الدولي وعدم الخضوع لقرارات الشرعية الدولية، لأن إسرائيل بحسب هذه العقيدة تمثل إرادة الله على الأرض وبالتالي لا يمكن أن تُطبّق عليها القوانين الأرضية .

لا بد أن ندرك بأن جوهر الصراع اليوم بين العرب وإسرائيل والذي تطوّر اليوم إلى صراع بين المسلمين من جانب وبين أصحاب الفكر الصهيوني من اليهود والمسيحيين من جانب آخر، إنما هو صراع وجود وليس صراع حدود. إنه صراع سياسي مغلف بمبررات ومسوغات دينية. فحينما تصطبغ الحروب ببعد عقدي تصبح أكثر شراسة وهُوًّا، ويكون النصر والغلبة لأصحاب العقيدة الأقوى في النفوس وليس ضروريا الأصحّ في المضمون.

ما كان لتوظيف الدين في السياسة أن يتمتع بمصدقية معتبرة وبالالتزام شديد في الدوائر السياسية الأمريكية لو لم يعمل لاهوتيو الحركة الصهيونية المسيحية على ربط الوقائع السياسية بالنبوءات التوراتية. كما أن الانتقال من الإيمان الروحي إلى الممارسة السياسية يحتاج إلى جهود تقوم بها منظمات ومؤسسات متخصصة ومتفرعة. وهذا ما قامت به وتقوم به منظمات الحركة الصهيونية المسيحية منفردة وبالتعاون مع الحركة الصهيونية اليهودية في الولايات المتحدة.

عندما يتوقف المفهوم اللاهوتي عند حدوده العقائدية فهذا مفهوم ومقبول. أما عندما يتحوّل الانحراف اللاهوتي البروتستانتي إلى تيار سياسي كاسح ومؤثر في سياسة دولة عظمى كالولايات المتحدة، بحيث يتحوّل إلى أداة دعم سياسي ومادي وعسكري لِيُستخدَم لأغراض مصلحة ضيقة، وعندما يتبارى الرؤساء الأمريكيون في مغازلة إسرائيل، فهو يبرز مدى السيطرة الدينية على الخريطة السياسية في أمريكا وعلى مؤسسات رسم وصنع السياسات واتخاذ القرار في أجهزة الحكم الأمريكية وذلك بصرف النظر عن الطابع الحزبي للإدارة الحاكمة في الولايات المتحدة.

أخيرا نتساءل أيهما يقود السياسة الخارجية الأمريكية أكثر، الدين أو المصلحة ؟

استنادا إلى التحليل السابق نجد أن الدين بكل ما تحتويه الكلمة من دلالات ومعتقدات وأهداف وسلوكيات يتسلّل إلى السياسة من خلال النسق العقدي العام، وجماعات المصالح والنخب السياسية المتبينة وجهات نظر دينية وتعمل للدفاع عنها.

وإذا كان الدين هو محرّك مركزي لصراع حضاري برأي هانتنغتون، فلأن المجتمع الأمريكي والسياسة الخارجية الأمريكية يستمدان قوّتهما من العلاقة العضوية القائمة بين السياسة والدين أي "الاصطفائية الإلهية". فرغم تأكيد الدستور الأمريكي على أهمية الحرية الدينية التي هي

جزء من حرية التعبير والتفكير، يبقى الموقف العام من الدين في أميركا هو موقف فضفاض. فاحترام النظام العام والقيم السائدة في المجتمع يبقى الخط الذي يفصل بين الدولة والكنيسة. ورغم أن هذا العمق الديني المغلف يُظهر المشهد الأمريكي كأنه كله دينيا إلا أن الواقع ليس كذلك، فهناك علمانية مفردة وبراغمية راسخة في القرار السياسي الأمريكي.

الخاتمة

علّمنا التاريخ بأن الصراعات العالمية كانت دوما لدوافع مصلحية وقد ترافقها عقائد فكرية كانت أو دينية لتعطيها مسوغات أخلاقية وشرعية. ونادرا ما كانت الحروب لدوافع إنسانية وقيمية. وأيا كان الأمر، فإن تلك المظاهر العلمانية والدينية في الولايات المتحدة تعكس حقيقة أساسية هي أن أمريكا دولة علمانية يسكنها شعب متدين وتتوافق الدولة مع تدنّي الشعب الأمريكي، لتكون النتيجة أن يعلو وينخفض الحائط الفاصل بين الدين والدولة، فيكون هناك دور للدين في الدولة العلمانية سواء بمعنى الدين المدني أو المسيحية السياسية.

لقد أفرزت الفلسفة السياسية الأمريكية مجموعة من المبادئ التي تتحكم وتوجّه القرار السياسي الأمريكي، هي نتاج للأصول الدينية البروتستانتية والفلسفة البراغماتية التي تُعدّ من الثوابت التي تقوم عليها الإستراتيجية الأمريكية. كما شكّلت طبيعة الثقافة السياسية للمجتمع الأمريكي وموقع الدين فيها وكذا تأثير التيارات الدينية والاتجاهات الفكرية للقيادة السياسية أحد أهم المحدّات للسياسة الخارجية الأمريكية. وقد عبّرت المؤثرات الدينية والفلسفية عن نفسها في السياسة الأمريكية في العديد من المظاهر والممارسات عبر مراحل تطورها التاريخية. وخالها احتلفت التوجهات وتعدّدت السياسات التي تصبّ في المحصلة النهائية في اتجاه التأكيد على هذا البعد بطرق مباشرة أو غير مباشرة، سواء تمّ استخدام الدين بلفظه واصطلاحه، أو تمّ تضمينه ضمن مصطلحات ومفاهيم أخرى، كـ"القيم الأمريكية" و"الأخلاق الأمريكية" و"الأيديولوجية الرأسمالية" أو "الثقافة الأمريكية" وغيرها من المفاهيم التي تتداخل مع المفهوم وتعطي نفس مضامينه. ولا يُعدّ تأثير الدين في السياسة الخارجية الأمريكية وليد المرحلة الراهنة، كما أنه ليس مرتبطا بطبيعة القيادة السياسية، بل جذوره ممتدة في تاريخ الولايات المتحدة. لكن الجديد، هو حجم هذا التأثير الذي شهد تصاعدا كبيرا. وجاء هذا التصاعد مرتبطا في شقّه الداخلي بحوادث سبتمبر 2001، وتنامي التيارات الدينية واليمينية في المجتمع الأمريكي مع وجود قيادة سياسية مهيأة للاستجابة لهذا التأثير تمتلك القدرة على نقل القنوات الذاتية إلى ممارسات فعلية. وهو الأمر الذي كشف عن تقاليد إستراتيجية أمريكية راسخة نحو التوسّع والهيمنة في رداءٍ جديد، وتحت دوافع دينية تترابط بقوة مع الدوافع الإستراتيجية والمصلحية.

إذن التماهي بين الديني والسياسي ليس حديثا بقدر ما هو ضارب في عمق التاريخ البشري المكتنّز بتسييس الدين وتدين السياسة. الأمر الذي يصبح معه البحث عن الخيط الفاصل بين الديني والديني بما يتضمنه من نزاعات سياسية واجتماعية وسواها من أهم وأعتقد المواضيع الفكرية والفلسفية في العصر الحديث .

الهوامش:

- 1- بنية العقل الأمريكي: دراسة في جذور وتكوين الوعي الأمريكي المعاصر، مركز دراسات قناة النيل الثقافية، الهيئة المصرية للكتاب، 2003، ص109.
- 2- صامويل هانتغتون: صراع الحضارات وإعادة بناء النظام العالمي، ترجمة هلال كاظم، دار الأمل، الطبعة الأولى، 2006، ص444.
- 3- هشام يونس: الايديولوجيات الأمريكية، مجلة شؤون الأوسط، العدد 114، ربيع 2004، ص112.
- 4- سيمر مرقس: رسالة في الأصولية البروتستانتية والسياسة الخارجية الأمريكية، مكتبة الشروق، 2001، ص6.
- 5- WASP : WHITE – ANGLO – SAXONS – PROTESTANTS
- 6- يوسف الحسن: البعد الديني في السياسة الأمريكية اتجاه الصراع العربي الإسرائيلي، مركز دراسات الوحدة العربية، الطبعة 1، 1990، ص38.
- 7- روجي غار ودي : أمريكا طلبية الانحطاط ، تعريب عمرو زهيري ، تقديم كامل زهيري ، دار الشروق ، 1999، ص49.
- 8- نصر شمالي: إفلاس النظرية الصهيونية، منشورات فلسطين المحتلة، بيروت، 1981، ص88.
- 9- رضا هلال: تفكيك أمريكا، الإعلامية للإشهار، 1998، ص59.
- 10- محمد السماك: الأصولية الانجيلية ، مركز دراسات العالم الإسلامي، مصر، الطبعة الأولى ، 1991، ص40.
- 11-Routh W. Mouly: Zionism in America, *American journal of theology*, September 1983, p98.
- 12- التقرير الاستراتيجي العربي : السياسة الأمريكية تحت سطوة اليمين الديني والسياسي ،مركز الدراسات السياسية والإستراتيجية، الأهرام، القاهرة، الطبعة الأولى، جويلية 2003، ص140.
- 13- رضا هلال: الدين والسياسة في أمريكا: علمانية أم دينية ضمن الإمبراطورية الأمريكية، الجزء الأول، الطبعة الأولى، مكتبة الشروق، القاهرة، 2001، ص248-251.

- 14- المسلاتي مختار خليل : أمريكا كما رأيتها، مكتبة المعلا، الكويت ، الطبعة الأولى 1986، ص 327.
- 15- Robert T.M and Andrew Rejct: **10 companies control 90% of informations you receive**, young African- American against media stereotype organization, 2003, p1.
- 16- محمد السماك : الدين في القرار الأمريكي، دار النفائس، بيروت، 2004، ص 77.
- 17- إياد أحمد : الدين والسياسة الخارجية الأمريكية في الشرق الأوسط COM 13/04/2010 PM 7.24 [www.elaph](http://www.elaph.com)
- 18- حريس هالسل : يد الله ، ترجمة محمد السماك ، دار الشروق ، القاهرة، 2000، ص 61.
- 19- عبد الوهاب المسيري: **موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية** ، الجزء الرابع، دار الشروق، القاهرة، 1999، ص 280.
- 20- الفضل شلق : العدوان على العراق ، إدارة بوش والمحافظون الجدد، **مجلة شؤون الأوسط**، العدد 111، صيف 2003، ص 49.
- ²¹-Pierre Hassner: **Le rôle des idées dans les relations internationales**, Revue politique étrangère 3/4, 2000, P690.
- ²²-Jean Michel Valentin : Religion et stratégie aux états unis, **Revue international et stratégique**, Printemps 2005, n° 57, P 110.
- 23- عفيف فراج: اليهودية بين حضارة الشرق الثقافية وحضارة الغرب السياسية، دار الأداب، بيروت ، الطبعة الأولى، 2002، ص 43 .
- 24- رضا هلال: **المسيح اليهودي ونهاية العالم: المسيحية السياسية والأصولية في أمريكا**، مكتبة الشروق الدولية، 2004 ، ص 102.
- 25- Roger Garaudy : **les Etats-Unis, colonie d'Israël, extrait du livre: Notes l'Avenir: mode d'emploi**, éditions Vent du Large, Paris, 1998. in: <http://medlem.spray.se/dominique/garaudy/garaudy9.htm>.
- 26- روجيه غارودي : **الخرافات المؤسسة للسياسة الإسرائيلية**، ترجمة م.ع. كيلاني، دار الكتاب، دمشق، سوريا ، الطبعة الأولى، 1996، ص 192 .
- 27- إيريك لوران: **عالم بوش السري: الديانة والمعتقدات الأعمال والشبكات الخفية**، ترجمة سوزان قازان، دار الخيال، بيروت، 2003، ص 96.
- 28- لمعي إكرام : **التنوع الديني في أمريكا: الإمبراطورية الأمريكية** ، الجزء الأول، 2001، ص 205.